

في
التصوير الإسلامي

٣٥

هذا المساء زامة وأحلام

تأليف

د / محمد عمارة

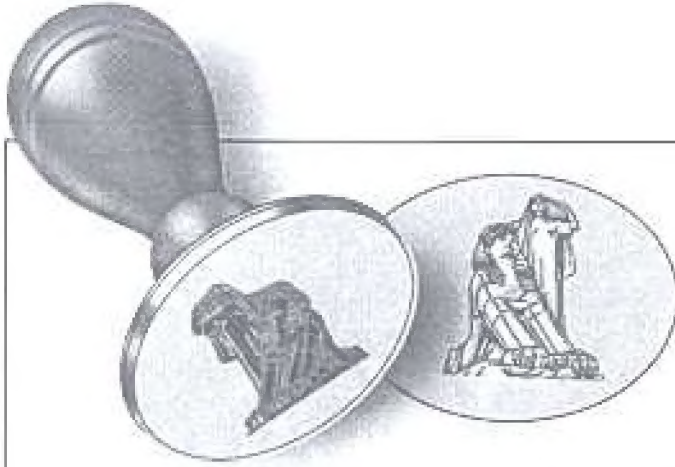
هَذَا الْمَسْئَلَةُ وَاجِبَةٌ

تأليف

د. محمد عناية



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٦٨



هل المسلمون أمة واحدة.

تأليف د/محمد عمارة

يونيه ١٩٩٩ م

٥٩١١ / ١٩٩٩ م .

I . S . B . N 977 - 14 - 0946 - 8

دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .

مدينة السادس من أكتوبر .

ت : ٢٢٠٢٨٧ / ١١ - (١٠ خطوط)

فاكس : ٢٢٠٢٩٦ / ١١ .

١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

ت : ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٢ .

فاكس : ٥٩٠٣٣٩٥ / ٢ . ص.ب : ٩٦ الفجالة ;

٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت : ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٢ .

فاكس : ٢٤٦٢٥٧٦ / ٢ . ص.ب : ٢٠ إمبابة ;

اسم الكتاب

اسم المؤلف

تاريخ النشر

رقم الإيداع

الترقيم الدولي

الناشر

المركز الرئيسي

مركز التوزيع

إدارة النشر

مَفْهُومُ الْأُمَّةِ فِي لُغَتِنَا الْقَوْمِيَّةِ

كثير من المعاجم والقواميس التي عرضت وتعرض بالتعريف لمصطلح «الأمة» - وخاصة تلك التي تأثرت بالضامين الغربية لهذا المصطلح - تميّز تعريفها لهذا المصطلح بالضبط والتحديد ، على تفاوت في السمات والقسمات والشروط التي وضعتها وتضعها هذه المعاجم والقواميس للجماعة البشرية الجديدة بأن تكون «أمة» متميزة عن غيرها من الأمم الأخرى ..

ففي الموسوعات والمعاجم ذات التوجه الفكري المادي ، تتصدر العوامل المادية الشروط والسمات التي تؤهل الجماعة البشرية لتكوين «أمة» ، حتى لتعتبر «السوق» والحياة الاقتصادية المشتركة هي البوتقة التي تنصهر فيها الأمة ، والرحم التي تولد منها ، مع ما يلزم لهذه السوق من أرض مشتركة ، تنمو عليها لغة مشتركة ، تثمر - في الميدان الفكري والثقافي - تكويناً نفسياً مشتركاً يربط بين هذه الأمة بروابط المشاعر والمثل والمزاج والقيم والذكريات والمواريث والآلام والأمال (١) ..

وبعض هذه القواميس يذهب في التحديد والضبط لشروط

(١) (الموسوعة الفلسفية) وضع لجنة من الأكاديميين السوفياتيين ، بإشراف : م . روزنتال ،

ب . يودين - ترجمة : سمير كرم - طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م -

«الأمة» وسماتها بعيدًا إلى حد الخلط بين «الأمة» و«الدولة» ،
فيرى «الأمة» : جماعة سياسية مستقلة ذات إقليم محدد ، يشترك
أعضاؤها فى الولاء لمؤسسة واحدة ، مما يؤدى إلى إحساسهم
بالوحدة وبأنهم يكونون مجتمعًا . ولا يلزم لقيام الأمة أن تكون
ذات أصل مشترك ، أو لغة واحدة ، أو دين أو عنصر واحد . وإن
كانت الأمم تتكون عادة اعتمادًا على التاريخ المشترك ووجود عناصر
ثقافية متشابهة^(٢) .

وينحو نحو هذا النهج ذلك التعريف الذى يرى «الأمة» : جملة
الأفراد الذين يكونون وحدة سياسية ، وتجمع بينهم وحدة الوطن
والتراث والمشاعر من آلام وآمال^(٣) .

وهذا الخلط بين «الأمة» و«الدولة» هو ثمرة من ثمار التأثير
الغربى فى مادة ومضمون هذه المعاجم والقواميس «العربية» ، وهو -
أيضًا - خادِم للأهداف الغربية من وراء إشاعة هذه المضامين فى
هذه التعريفات ! . . .

فالحضارة الغربية قد صاغت «للأمة» أمثال هذه التعريفات ،
التي خلطت بينها وبين الدولة ؛ لأن أمة هذه الحضارة قد امتلكت
كل منها - تقريبًا - دولتها الحرة المستقلة - وبعض دول هذه
الحضارة وإن ضمت أئما متعددة ، فليس فى إطارها أمة فتتها القهر

(٢) (قاموس علم الاجتماع) - تحرير ومراجعة - : د . عاطف غيث . طبعة القاهرة
سنة ١٩٧٩ م .

(٣) (المعجم الفلسفى) وضع : مجمع اللغة العربية - القاهرة - سنة ١٩٧٩ م .

الاستعماري فحرمها من امتلاك «الدولة» الواحدة للأمة الواحدة . . فالتطابق الواقعي قائم في إطارها بين الأمة والدولة .

وشيوع هذا المفهوم - الذي يطابق بين «الأمة» و «الدولة» - في قواميس الأمم التي مزقتها القهر الاستعماري الغربي ، أو المصالح الإقليمية الضيقة لبعض العشائر والفئات والطبقات ، يسهم ولا شك في تشكيل هذه الأمم بوحدتها ، فيفقدها الاتجاه الموحد نحو استكمال وحدتها كأمة ، ونحو إقامة الدولة الواحدة التي ترسخ وحدة الأمة وتنمي سماتها وقسماتها . . . وهنا تنهض المفاهيم الغربية - عندما توظف خارج إطارها وترزع في غير أرضها - بدورها في مؤازرة غيرها من أدوات القهر والاستلاب التي صنعها ويصطنعها الاستعمار ! . .

ومن هذه المعاجم والقواميس من برئ من آفة الخلط بين «الأمة» و «الدولة» ، مع تميزه بخصائص التعريفات المنطقية الحديثة ، التي تحاول استقصاء السمات والشروط والحدود ، كي يكون التعريف أقرب ما يكون إلى «الجامع المانع» ، فيعرف «الأمة» - قانوناً - بأنها «جماعة من الناس تجمعهم عناصر مشتركة ، كوحدة الأصل واللغة والعقيدة والتراث الفكري ، مما يجعلهم وحدة حضارية واحدة ، ويخلق عندهم شعوراً بالانتماء إلى تلك الوحدة وتعلقاً بها . والأمة حقيقة اجتماعية وحضارية خلافاً للدولة التي تعتبر وحدة سياسية وقانونية . ويلاحظ أن الأمة الواحدة قد تكون

موزعة بين عدة دول ، كما كان الشأن بالنسبة للأمة العربية ، كما أن الدولة قد تضم عناصر من أمم مختلفة ، كما كان الشأن بالنسبة للإمبراطورية العثمانية قديماً وسويسرا حديثاً .» (٤)

تلك هي أبرز المناهج في تعريف «الأمة» بالمعاجم والقواميس والموسوعات الحديثة ، جمعت بينها - رغم التمايز - خاصية الضبط والتحديد واستقصاء الشروط والقسمات التي لا بد منها كي نطلق على جماعة بشرية ما مصطلح «الأمة» . . . ولقد تعمدنا الإشارة إلى هذه الخاصية الحديثة في تعريف الأمة ، ليظهر افتراقها مع النهج العربي الإسلامي في تعريف «الأمة» ، ذلك النهج الذي ابتعد عن الضبط والتحديد ، ووقف في هذا التعريف عند حدود «الجماعة» فاعتبر الجماعة - أية جماعة - التي يربطها رابط ويجمعها جامع - أيّاً كان الرابط والجامع - «أمة» متميزة عن غيرها من الأمم . . . ذلك أن وراء هذا النهج العربي الإسلامي دلالات فكرية تنم عن خصوصيات حضارية للأمة العربية الإسلامية جذيرة بالبلورة والتحديد عندما تبحث عن المفهوم المتميز لمصطلح «الأمة» في حضارتنا العربية الإسلامية . .



(٤) (المعجم الكبير) وضع : مجمع اللغة العربية - القاهرة - سنة ١٩٧٠ م .

مفهوم «الأمة» فى أصول العربية

يقول الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ ١١٠٨م) فى (المفردات فى غريب القرآن) عن تعريف «الأمة»: إنها «كل جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء أكان ذلك تسخييراً أم اختياراً. وجمعها: أم»^(٥). . . . إنها الجماعة يجمعها أمر ما فيميزها، سواء أكان هذا الجامع طبيعياً وخلقة وتسخييراً، كما هو فى الخلق الإلهى لجماعات - أم - الحيوان غير المختارة، وفى الجوامع الطبيعية التى تجمع الجماعات - الأم - الإنسانية . . . أو كانت جوامع مختارة وضعية، كاللغة، مثلاً . . .

وإذا كان العرب والمسلمون القدماء قد اجتمعوا على هذا التعريف للأمة، فإنهم قد اجتهدوا فى تحديد العدد الأدنى للجماعة التى تستحق وصف «الأمة» إذا جمعها جامع وربط بينها رابط . . . ففى أحد الأحاديث النبوية ما يشير إلى أن هذا العدد أقله مائة - «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين، يبلغون أن يكونوا مائة، يشفعون إلا شفعوا فيه»^(٦) . . . ومن القدماء من اجتهد فوقف بهذا العدد عند الأربعين . . . فواحد من سمع إحدى

(٥) (دائرة المعارف الإسلامية) الطبعة العربية - الثانية - دار الشعب - القاهرة - مادة «أمة» من تعليق الأستاذ أحمد محمد شاكر - ونص الراغب الأصفهاني فى (المفردات) ص ٢١ - .

(٦) رواه النسائي، عن عائشة أم المؤمنين .

روايات الحديث المشار إليه ، سأل أحد رواة - أبو المليح - عن الأمة ؟ فقال : أربعون . . . (٧) . . . وهي تحديدات فرضها الموقف ، واجتهادات لا إلزام فيها .

ولقد استقر ، واستمر هذا المضمون لمصطلح « الأمة » في تراثنا اللغوي ، وعبر معاجمنا العربية (٨) ، وكتب التعريفات وكشافات مصطلحات العلوم والفنون (٩) . . . ونهج ذات النهج أحدث هذه المعاجم - (المعجم الكبير) - عندما استند إلى القرآن والسنة والشعر العربي - وهي ديوان العربية - فكشف عن أصالة هذا المضمون لهذا المصطلح . . . فالأمة هي الجماعة ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . . . وهي الجماعة والجنس من كل حي ، ولو لم يكن بشراً ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأنعام : ٣٨] . . . وهي الجماعة من الناس يربطها رباط « الجيل والقرن » ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾ [الرعد : ٣٠] . . . وهي أمة - أي جماعة - كل نبي ، الذين أرسل إليهم ، الذين آمنوا منهم ، والذين ظلوا على كفرهم . . . فهم جميعاً « أمة الدعوة » ، يجمعها جامع الدعوة ورباطها . . . والذين آمنوا منهم هم « أمة الإجابة » ، يجمعهم جامع الإيمان ورباط الإجابة . . . ثم

(٧) رواية النسائي ، عن ميمونة أم المؤمنين .

(٨) (لسان العرب) لابن منظور - مادة : أمة - طبعة دار المعارف - القاهرة .

(٩) التهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

هي : الفرد إذا قام - بامتيازته وتميزه - مقام الجماعة .. كالرجل الذي لا نظير له .. والمعلم الجامع للخير ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٠] ... والمتفرد بدين الحق رغم طوفان الوثنية والضلال «يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ نَفِيلٍ أُمَّةً عَلَى حَذَا»^(١٠) .. كما يطلق المصطلح على «الدين والملة» ، كجامع يجمع الجماعة فيجعلها أمة ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .. وعلى السنة والطريقة - بهذا المعنى - .. وكذلك على «الحين والزمان» ، كرابط جامع ﴿ وَلئنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ ﴾ [هود : ٨] .. وأخيرًا على «الملك» كرابط سياسى يجمع الرعية برباط الدولة .. وعلى هذا الدرب سار (معجم ألفاظ القرآن الكريم) ، بعد ما نظر فى المواضع التى ورد فيها مصطلح «الأمة» بآيات القرآن ، فقال عن الأمة : إنها «كل جماعة يجمعهم أمر ما ، وجمعها : أم . والأمة : الدين .. والحين» .. ذلك لأن أربعًا وأربعين موضعًا من مواضع ورود هذا المصطلح بالقرآن قد جاء معناه فيها : «الجماعة من الناس» .. بينما جاء فى موضعين بمعنى «الحين» .. وفى

(١٠) حديث مروي عن الرسول ﷺ .

موضعين بمعنى «الدين» .. ومعنى «القدوة ومُعَلِّم الخير» في موضع واحد .. فموسى عندما ورد ماء مدين ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ ﴾ [القصص : ٢٣] .. فهم جماعة جامعها طلب السقاية .. ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .. جامعها إسلام الوجه لله .. ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .. جامعها التواصي بالحق والتصبر على مكاره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمِِّرَ أَمْثَالَكُمْ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .. الجامع في كل منها النظام والاشتراك في نمط الخلفة وطرائق العيش ... إلخ ... إلخ ... إلخ ..

ولقد كانت السنة النبوية الردف الذي سار على نهج القرآن في استخدام هذا المصطلح - «الأمة» - قاصداً به ذات القصد وواضعا فيه ذات المضمون .. «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»^(١١) .. وجامعها رباط الإجابة للدعوة .. و «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية»^(١٢) .. فالعصيان لم يخرج أهله من جامع الأمة .. و «لا تزال طائفة من أمتي قوامه على أمر

(١١) رواه ابن ماجه .

(١٢) رواه الترمذی .

الله لا يضرها من خالفها»^(١٣) . . . فكونها حزباً متميزاً لم يخرجها
عن جماعة الأمة . . . و «النمل أمة من الأمم»^(١٤) . . . و «لولا أن
الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»^(١٥) . . . فهي جماعة ، أي
أمة . . . إلخ . . . إلخ . . . إلخ . . .

فهى - إذن - الجماعة . . . أية جماعة يربطها أى رباط جامع
هى «أمة» دونما ضبط أو تحديد للروابط بعينها ، أو لعدد محدد من
هذه الروابط الجامعة . . . ذلك هو المضمون الذى اجتمعت عليه
أصول العربية ، وساد فى حضارتنا الإسلامية . . .

فهل لهذه «المرونة» التى رفضت التحديد والتقييد ، والتى
تركت الباب مفتوحاً للروابط المضافة إلى الجماعة ، وكذلك حدود
الجماعة ذاتها . . . هل لهذا النهج المتميز وهذه الخصوصية العربية
الإسلامية دلالة حضارية فى ميدان التمايز الحضارى
والخصوصيات القومية يمكن رصدها عندما تكون المقارنة بين الأمم
والحضارات ؟ . . . وهل فى ذلك ما يلقى ضوءاً على أمر دنى بال
فى مفهوم «الأمة» بحضارتنا العربية الإسلامية ؟؟ . . .
لننظر

* * *

(١٣) رواه ابن ماجه

(١٤) رواه مسلم

(١٥) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقنى والإمام أحمد

مَفْهُومُ الْأُمَّةِ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

في الحضارة الغربية ، شاع وساد مصطلح « الأمة » في المرحلة التاريخية التي تبلورت فيها قوميات تلك الحضارة ، عندما نشأت على أنقاض الرابطة اللاهوتية المسيحية الجامعة . . فكان الاستقلال ، وكان الانسلاخ هو طابع المرحلة . . ثم كان الصراع الذي تولد من تناقضات المصالح الرأسمالية عاملاً هاماً في تأجيج العصبية القومية بين أمم وشعوب تلك الحضارة ، فكان البحث - في إطار الفكر القومي العربي - عن الفواصل وعوامل التمايز بين الأمم والقوميات سمة بارزة من سمات ذلك الفكر في ذلك التاريخ ، فرأينا - لذلك - الضبط والتحديد للسمات والشروط الجامعة المانعة في تعريف الأمة ، إذكاء لروح التميز والخصوصية القومية ، وإبرازاً « للمغايرة » وشحناً للوجدان القومي ، كي يدفع كل أمة من أمم تلك الحضارة إلى الصراع والغلبة في حلبة التنافس - السلمي والمسلح - على المصالح والثروات والأقاليم ، داخل أوروبا أولاً ، وخارجها بعد ذلك ، إن في العالم القديم أو الجديد . . طلباً لمصادر الغنى والثراء ، وبحثاً عن الأيدي العاملة الرخيصة ، وتحقيقاً للمهينة الحضارية والاحتواء الاستعماري . .

تلك كانت ملايسات الصياغة والتحديد لمضمون مصطلح « الأمة » في الحضارة الغربية

ولما كانت ملائسات صياغة مضمون هذا المصطلح في حضارتنا العربية الإسلامية مغايرة تمام المغايرة لتلك الملائسات الغربية ، بل وعلى النقيض منها . . فلقد تميز عندنا هذا المفهوم والمضمون . .

فالتطور العربي الإسلامي لحضارتنا ، الذي تبلور على أرض أمتنا بعد الاسلام ، والذي تعيشه هذه الأمة ، كامتداد متطور لموارثها الحضارية والفكرية التي سبقت ظهور الإسلام . . هذا التطور العربي الإسلامي لم يكن طور انسلاخ عن رباط أشمل ، ولا استقلالاً عن كيان أكبر ، ولا بحثاً عن العوامل المميزة والفواصل والخواجز . . وإنما كان على العكس من ذلك ، طور جمع وتأليف للفكر الحى المتوقد الذى جاء به الإسلام مع الموارث الفكرية والحضارية التى وجدها العرب المسلمون فى البلاد التى دخلت فى عالم الإسلام . . وللجماعة العربية المسلمة التى انطلقت من شبه الجزيرة مع الشعوب التى توحدت فى إطار الدولة العربية الإسلامية الجامعة . . فلم يكن هم هذه الحضارة - ومن ثم نعتها - البحث عن ما يميز ويحدد ويفصل ، طلباً للاستقلال القومى ، وإنما كان همها هو البحث عن عوامل التأليف لأمة أكبر وجماعة أشمل وحضارة أوسع . . ولذلك وقفت هذه الحضارة - ولغتها - بمضمون ومفهوم «الأمة» عند مضمون الرباط الجامع للجماعة ، أيًا كان هذا الرباط ، وذلك حتى يظل الباب مفتوحاً للتأليف والاستيعاب ، وحتى تمتد مساحة تأثير «النواة الإسلامية» فتشمل دائرة حضارتها كل الجماعات التى تدخل دائرة حضارة الإسلام حتى ولو لم تدخل فى دين الإسلام . . . ولقد دعم من

هذا التوجه : عالمية الرسالة الإسلامية ، وأهمية العقيدة في الدين الإسلامي . . . وأيضا كونها الرسالة الخاتمة ، التي جاءت لتستوعب ميراث الماضي - بالإحياء والتجديد - ولتصوغ منه - بمعايير الإسلام - حضارة مستقبلية ، ذات نزوع عالمي ، لا تنكر التمايزات بين الجماعات البشرية ، ولا تحاربها ، ولكنها تهذب شدوذها ، لتوظف التعددية القومية في بلورة وإنماء وتطوير حضارة ذات نزوع عالمي . . . لهذا كان وقوف هذه الأمة عند الحد الأدنى من الروابط في مفهوم الأمة ومضمونها ، طلبا للحركة ، ونزوعا للامتداد ، وتوجها للتأليف ، ورفضاً لعصبية الانغلاق وتعصب الاستعلاء على غيرها من الجماعات والأمم والحضارات . . . لقد كان توجهها للامتداد ، واتفاقها على أن «تُحَقِّقَهَا» إنما هو مهمة دائمة ومستمرة ، لا بالنسخ والنسخ للموارث والقسمات الحضارية الأخرى - كما حاولت وتحاول الحضارة الغربية مع غيرها من الحضارات - وإنما بالإحياء والتجديد والاستيعاب لما هو قابل وصالح للإحياء والتجديد من الموارث الفكرية والحضارية . . .

إنه منطلق متميز . . . وتوجه متميز ، أثمر هذا التميز لمفهوم الأمة في حضارتنا العربية الإسلامية عند في غيرها . . . وعنده في الحضارة الغربية على وجه الخصوص . . .

● ففي قريش ، بمكة ، نزل الوحي على محمد بن عبد الله ﷺ برسالة الإسلام . . . فكانت «لتوحيد الديني» الإسلامي - الذي بلغ الذروة في التنزيه والتجريد - آثاره العظمية في توحيد هوية الجماعة العربية ، التي كانت الوثنية المتعددة تجسد وترمز إلى

تشرذمها وتمزقها القبلى فى الجاهلية . . . وذلك دون أن تعنى هذه «الجامعة العربية القومية» سيادة قريش ، ولا تجاهل التمايزات القبلىة أو القفز على واقعها . . . وإنما كانت هذه الظاهرة التوحيدىة الوليدة «تأليفاً» للقبائل المتميزة ، ووحدة لا تنكر التعددية . . . حتى لقد عدت من معجزات الإسلام التى تحققت فى الواقع الإسلامى الجديد ﴿ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٣] . . .

ولم يقف هذا الوليد الحضارى بنطاق الأمة ومفهومها عند حدود «القبائل العربىة» ، فلقد كانت مرحلة تجاورها التأثير التوحيدى ، الذى بدأ من قريش - مستعيناً بها على إنجاز أكبر فى دائرة أوسع - هى دائرة وحدة «القبائل» و «الشعوب» . . . فكما أنجز الإسلام وحدة القبائل ، دوغاً إنكار تمايزها ، توجه إلى إنجاز وحدة «القبائل» و «الشعوب» ، بمعيار وفى إطار «التعارف» ، الذى لا يلغى التمايز ، ولا يقفز على الخصوصيات ، وإن أتاح الفرص وخلق الأطر للتفاعل والتوحيد . . . فمع التعددية تكون وحدة الأمة الطامحة إلى الامتداد الطوعى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] . . . فالاتجاه إلى الأمة العالمىة ، لا ينكر أن التعددية هى سنة من سنن الله فى الكون

والخلق . . . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم

وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴿١٠٢﴾ الروم : ١٠٢

انها أمة «دائمة التحقق» . . . بل إن ديومة هذا التحقق - عمقاً
واتساعاً - هي معيار حيويتها ونهوضها برسالتها العالمية والخالدة
التي أرادها الله ! . . .

ولذلك ، فلقد وازنت هذه الأمة : وهي تحقق امتدادها وتطور
حضراتها بين «الخاص» و «العام» . . . فكما أخرجت «وحدة»
القبائل ، دون إلغاء للقبيلة ، وإنما يجعلها لبنة في بناء الأمة الجديد
- بعد أن كانت كياناً مستقلاً ومستعصياً على الترويض - . .
وجدناها تقيم بواسطة «التعارف» - الذي هو التفاعل الطوعي -
رباطاً جامعاً بين «القبائل» و «الشعوب» ، حتى لقد احتضن
محيطها الجامع «الجزر القومية» ، فجمعها جميعاً بخيوط الحضارة
الإسلامية ، دون أن ينكر عليها التمايز القومي المبرأ من العصبية
العرقية وضيق الأفق الجنسي . . . فعرف مفهوم الأمة ، في فكرنا
الحضاري ، وفي تجربتنا التاريخية وميراثنا الاجتماعي الدوائر التي
تبدأ من «الفرد» إلى «الأسرة» - أو القبيلة والعشيرة - إلى
«الشعب» : إلى «الأمة» - بالمعنى القومي - إلى «الجامعة
الإسلامية» . . . مع السعي الحثيث إلى تعميق الرباط الجامع . .
وإلى مد نطاقه إلى أفق جديد . . . بل لقد مدت الدائرة الإسلامية
مع الدائرة الإنسانية الخيوط والعلائق والأسباب . .

لقد كان «الإسلام» - الدين - وكانت «الجماعة العربية الإسلامية» - كأمة - وكانت «الحضارة العربية الإسلامية» - كإبداع تزامن في صنعه : الوحي الديني وعلومه مع الموارث الفكرية والحضارية لشعوب البلاد التي دخلت عالم الإسلام - وكانت «الدولة» - كأداة للدين والحضارة - .. كان جميع ذلك ، في مسيرتنا الحضارية وتجربتنا التاريخية والاجتماعية أشبه ما يكون بالدائرة الدائمة الاتساع ، حركتها ذلك المصطفى محمد بن عبد الله ، منذ أن أتاه وحي ربه قائلاً : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق : ١-٥] .

● ففي «الدين» .. بدأ الرسول ﷺ فجعل «أمة الدعوة» الأقربين من قومه وعشيرته - ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .. ثم عمم الدعوة على نحو جعل نطاق «أمة الدعوة» كل القوم والعشيرة - وهم «الجماعة الذين تربط بعضهم ببعض روابط دم أو نسب أو اجتماع ..»^(١٦) ، وحدث هذه الأمة عن خصوصيتها القومية التي تميزها ، باجتماع وبالمستولية - معاً - في إطار هذه الدعوة العالمية ، فقال لها عن القرآن الكريم ما أوحى به الله : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ

(١٦) (معجم الفاظ القرآن الكريم) وضع مجمع اللغة العربية - القاهرة - سنة ١٩٧٠ م

إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١﴾ [الرَّحُوف : ٤٢ ، ٤٤] . . . وفي ذات الوقت كان حديثه القرآني عن عالمية الدعوة . . . فهو رسول الله إلى العالمين ، ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . . . ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [الفرقان : ١] . . . وقرآنه الكريم موجه إلى العالمين ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ [الأنعام : ١٥] . . . ﴿ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ [يوسف : ١٠٤] . . . ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ (٢٥) فأين تذهبون (٢٦) إن هو إلا ذكر للعالمين (٢٧) ﴾ [التكوير : ٢٥ - ٢٧] . . . وفي الحديث الشريف يتحدث الرسول ﷺ عن اختصاص رسالته بالعالمية . . . فيقول : « أعطيت خمسين لم يعطهن أحد قبلي : كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحرر وأسود . وأجّلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي . وجُعّلت لي الأرض طيبة ظهوراً ومسجداً ، فأما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان . ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر . وأعطي الشفاعة » (١٧) .

فشرف العرب في الإسلام ، الذي تمثل في اصطفائهم -

(١٧) رواه البخاري ومسلم والترمذي والدارمي والإمام أحمد .

كجماعة - أمة - لحمل رسالته إلى العالمين . . بزمانل عالمية الدعوة ، ولا يحتكرها إنه الاتساق مع المفهوم العربي الإسلامي المتميز لمصطلح الأمة ونطاقها الذي لا تعرف أفاقه الحدود ! . .

● وفي «الدولة» . . كانت البداية «عربية» - بالمعيار القومى العربى - ثم انداحت دائرة الدولة وبنية تكوينها لتستشرف «العالمية» ، التى صنعت ثوبها من نسيج سداد «العروبة الحضارية» وختمته «الإسلام الحضارى» ! . . صانعة ذلك المزيج الحضارى الجديد والفريد ! . .

لقد تأسست دولة المدينة ، التى أقامها المسلمون الأوائل تحت قيادة النبى ، وفق معيار «العروبة الحضارية» . . ووجدنا «دستورها» - الذى اشتهر فى التاريخ بـ «الصحيفة» وبـ «الكتاب» - يحدد «اللبات» التى كونت بناء الرعية فى هذه الدولة ، فإذا هى جميعاً «قبائل عربية» . . وفى هذا «الدستور» وجدنا التمييز بين «أمة الدين» و «أمة السياسة» ، كما وجدنا الربط بينهما . . فالوحدة قائمة على التمايز . . القبائل تتوحد فى الأمة . . والعرب المؤمنون - من المهاجرين والأنصار - هم «أمة الدين» . . وهم مع القطاعات العربية المتهوددة من قبائل المدينة يكوّنون «أمة واحدة» . . أمة السياسة والقومية . . فالمسلمون «نواة» منها تبدأ دائرة الدولة . لتنداح شاملة العرب المتهودين ، استشرافاً لدائرة أوسع . . دائرة الشعوب الأخرى والقوميات الأخرى . وعن هذه الحقيقة حول مفهوم الأمة فى الدولة العربية الإسلامية الأولى يقول «دستور»

دولة المدينة : «هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش و (أهل) يثرب ، ومن تبعهم فلحق وجاهد معهم . أتهم أمة واحدة من دون الناس . وأنه من تسعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا مُتَاصِر عليهم . . . وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . . . وأن لليهود بني النجار . . . وبني الحارث . . . وبني ساعدة . . . وبني جشم . . . وبني الأوس . . . وبني ثعلبة . . . وبني الشُّطَيْبَةَ مثل ما لليهود بني عوف . . . وجفنة بطن من ثعلبة كأَنفسهم . . . وموالي ثعلبة كأَنفسهم . . . وأن بطانة يهود كأَنفسهم . . . وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم . . . وأن بينهم النصر على من دهم يثرب . وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك ، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين . على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم . وأن يهود الأوس مواليتهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة»^(١٨)

فبعد أن عدد الدستور - وهو يحصر لبيات الأمة والرعية السياسية للدولة - القبائل العربية التي أمنت وأسلمت - عن

(١٨) (مجموعة الوثائق السياسية - للعهد النبوي والخلافة الراشدة) ص ١٥ - ٢١ - جمع وتحقيق : د . محمد حميد الله - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م .

المهاجرين والأنصار - ومن حُقَّ بهم وجاهد معهم . . ذكر أنهم
أمة الدين - «أمة واحدة من دون الناس» - بعد ذلك شرع فعُدُّ
القطاعات المتهودة من قبائل المدينة العربية . . أي اليهود العرب -
الأميون - لا العبرانيون - ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ
إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخُنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] . . وجعل هؤلاء
العرب المتهودين - مع بطانتهم ومواليهم - كامل حقوق وواجبات
المواطنة في دولة المدينة ، مقررًا أنهم «أمة مع المؤمنين» . . فالأمة
هنا - الجماعة - ومنذ هذا التاريخ المبكر لم تقف عند «أمة
الدين» ، وإنما تجاوزتها دون أن تسقطها . . لقد انداحت الدائرة ،
دون أن تهمل المركز أو تتخلى عنه بأي حال من الأحوال . .
فالمنطلق قائم وفاعل وقائد ، والاستشراف للأفاق الأوسع والأبعد
دائم ؛ لأنها أمة الاستيعاب والإضافة ، وليست أمة الانسلاخ
واخذود والتعصب والعدوان على الأغيار . .

ولقد فهم البعض - باخطأ أو بسوء القصد - أن ما حدث من
صراع بين دولة المدينة وبين اليهود العبرانيين ، سكان الواحات
الزراعية من حولها ، والذي انتهى بإجلائهم عن مواقعهم ، فهم
البعض أن هذا الحدث قد مثل تراجعًا إسلاميًا عن هذا المفهوم
المرن للأمة . إذ عادت أمة للدين فقط ، ووقفت حدودها عند
المؤمنين والمسلمين دون سواهم . . فقالوا : « . . إن الصبغة
السياسية الغالبة في هذه الأمة الجديدة إنما كانت مؤقتة ، فلم
يكد محمد يحس أن مركزه قد توسد في المدينة ، ويرى انتصاره
في حروبه مع كفار مكة ، حتى استطاع أن يخرج من جماعته

السياسية الدينية ، أهل المدينة (خصوصاً اليهود) الذين لم يعتنقوا الدين الذي جاء به ، وتمرور الزمن صارت أمتة تتألف من المسلمين وحدهم ، وصار يعتبر المسلمون أمة ، ويؤكد صفاتهم الخلقية والدينية ، ويعتبرهم غير أهل الكتاب الذين كان محالفاً لهم . . .^(١٩) ومكمن الخطأ في هذا الفسهم هو الخلط بين «اليهود العرب» الذين عدّد دستور المدينة قبائلهم ، وكلها قبائل عربية صريحة النسب العربي^(٢٠) ، وبين القبائل اليهودية العبرانية ، والتي لم يأت لها ذكر في هذا الدستور . . . فالأولون كانوا عرباً ، كانوا مع العرب المؤمنين دولة عربية قومية ، أمتها - جماعتها - عربية متعددة الأديان . . . والآخرين - من أمثال بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة - ولم يرد لهم ذكر في هذا الدستور - كانوا عبرانيين ، قام بينهم وبين دولة المدينة حلف - يختلف عن علاقة المواطننة - فلما نقضوه قاتلهم النبي . وانتهى الصراع معهم بالإجلاء . . . أما القطاعات العربية المتهودة ، التي كانت جزءاً أصيلاً من «أمة السياسة» ، فلقد اعتنقوا الإسلام ، ودخلوا من ثم في أمة الدين والسياسة معاً . . .

ثم إن معيار «العروبة» الذي حكم إطار الأمة ومفهومها ، كان هو الآخر معياراً مرناً ، ومستقبلياً ، وسبيلاً إلى التوسع في الإطار والاستيعاب لأقوام آخرين . . . فقبل الإسلام كانت المعايير العرقية والقبلية هي السائدة في تحديد أفق العروبة ومفهومها . . . فجاء

(١٩) (دائرة المعارف الإسلامية) - مادة «أمة» - تحرير : ر - باريس R. Paret .

(٢٠) (معجم القبائل العربية القديمة والحديثة) لعمر كحالة طبعة دمشق سنة ١٩٦٨ م

الإسلام ليرفضها .. وعنها قال الرسول ﷺ : «دعوها فإنها مُنتنة ..»^(٢١) . ومضى يعلم أصحابه أن حب الإنسان لقومه مطلوب ، لكن العصبية الظالمة هي المرفوضة .. وعندما سأله الصحابي واثلة بن الأسقع :

« - يا رسول الله ، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟
(أجابه) - :

- لا ، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم^(٢٢) .
وبدلاً من هذه العصبية الجاهلية ، وبدلاً عن الإطار العرقي والقبلي للعروبة الجاهلية ، أرسى الإسلام للعروبة مفهوماً حضارياً ، وحدد لأمتهام معياراً ثقافياً .. فخطب النبي في الناس ، عندما بلغه أن منهم من يتكر على الذين لم ينحدروا من أصلاب عربية - مثل بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي - رغم بلوغهم في الاستعراب درجة الفقه للقرآن المعجز والوعي بأسراره البلاغية ، ورغم أنهم قد محضوا ولاءهم للعروبة ، وأخلصوا انتماءهم لمجتمعها الإسلامي - عندما أنكر البعض عروبة الذين استعربوا حضارياً .. غضب الرسول ، وخطب الناس فقال : «أيها الناس .. ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي ..»^(٢٣) . فمئذ ذلك التاريخ ، ووفقاً لهذا المعيار الحضاري والثقافي «للعروبة» اتسعت

(٢١) رواه البخاري والترمذي .

(٢٢) رواه ابن عاجة والإمام أحمد .

(٢٣) (تهذيب تاريخ ابن عساکر) ج ٢ ص ١٩٨ ، طبعة دمشق

دائرة الأمة العربية والجماعة العربية ، لتضم - وعلى قدم المساواة - كل الذين تعربوا بالفكر والحضارة والانتماء والولاء ، فع الذين انحذروا من أصلاب عربية صريحة . . فكما انفتح معيار الأمة ومفهومها ليضم العرب من غير المسلمين ، انفتح - كذلك - ليضم عرب الحضارة والثقافة ، من ذوي الأصول العرقية غير العربية . .

واعمالاً لهذا المعيار الحضارى الذى يفتح أبواب الأمة ويوسع دائرة الجماعة ، نهضت الدولة بتنظيم اجتماعى دمجت به الموالي - أرقاء الأمم الذين حررهم الإسلام - فى القبائل التى كانوا فيها أرقاء . . فالقبيلة كانت - كالأسرة - اللبنة الأولى فى كيان الأمة . . فبعد أن كانت حدودها مقصورة على صرحاء النسب العربى ، غدت تضم الموالي أيضاً . . أى أن دائرة القبيلة ومعيارها لم يعد ، هو الآخر ، عرقياً بحتاً ! . . ولهذا التنظيم الاجتماعى الجديد سن الرسول القوانين ، فى صورة أحاديث من مثل : «مولى القوم منهم»^(٢٤) و «الولاء لخدمة كلخدمة النسب»^(٢٥) فلم تعد أرحام الولادة النسبية هى أرحام الجنس والعرق وحدها ، وإنما غدت العروبة الحضارية رحماً تولد منه الأمة والجماعة وفقاً لهذا المعيار الحضارى الجديد . .

وبعد عصر الرسول . . انتقلت الدولة بإطار الأمة ومفهومها - وفقاً لمتهاجه الإسلامى - إلى أفق جديد . . فالمد الذى بدأ من قريش ، فألف بين القبائل ، على اختلاف دينها . ودمج فيها كل

(٢٤) رواه البخارى .

(٢٥) رواه أبو داود والدارمى .

من استعرب ، على اختلاف أصولهم العرقية . . هذا المد قد امتد
بافتوحات إلى ما هو أبعد من القبائل ، عندما ضمت الدولة
«الشعوب» من أهل العراق وفارس والشام ومصر وغيرها من
البلاد . . فبدأت مرحلة جديدة ونطاق جديد في مفهوم الأمة .
اتخذت الدولة له المعيار القرآني - معيار «التعارف» - الذي
يعنى التفاعل القائم في إطار الوحدة ، التي لا تنكر ولا تتجاهل
التميزات . .

وعندما نجم قرن الشعوبية ، التي تحقّر كل ما هو عربي ، لتصل
بالعداء الظاهر للمعروية إلى هدف مستور هو التأكيد للإسلام . . .
وعندما استفزت الشعوبية واستنفرت العصبية القبلية العربية ،
على عهد الدولة الأموية . . وجدنا عقلاء الأمة ومفكرين ينهضون
لإحياء النهج الإسلامي التآلفي ، فيكتبون - بل ويفردون المؤلفات
- لتذكير الناس بالمعيار الحضاري لمفهوم الأمة ، والأفق الفكري
والثقافي غير المحدد لإطار الجماعة . . . وكان الجاحظ ، أبو عثمان
عمرو بن بحر (١٦٣ - ٢٥٥ هـ - ٧٨٠ - ٨٦٩ م) في مقدمة الذين
أبدعوا في هذا الميدان ، فوجدناه يفرد لهذا الغرض بعض كتبه .
وفي مقدمة أحدها يعلن عن هذه المهمة فيقول : « . . . وكتابنا
هذا إنما تكلّفناه لنؤلف بين قلوبهم إن كانت مختلفة . ولنريد الألفة
إن كانت مؤلفة ، ولنجبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ،
ولتسلم صدورهم ، وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت
في النسب ، وكم مقدار الخلاف في الحسب ، فلا يغيّر بعضهم
مغير ، ولا يفسده عدو بأباطيل موهمة ، وشبهات مزورة ، فإن المنافق

العليم ، والعدو ذا الكيد العظيم ، قد يصور لهم الباطل في صورة الحق ، ويلبس الإضاعة في ثياب الخزم^(٢٦) ! . . .

ثم يمضى الجاحظ فيذكر أطراف النزاع بالمعيار الحضارى للعروبة والمفهوم المتفتح وغير العرقى أو المغلق للأمة والجماعة ، وكيف أن اختلاف النسب بين القحطانيين والعدنانيين لم يحل دون اندماجهم في الأمة كل الاندماج عندما وحدتهم الحضارة والثقافة واللغة والشمال ، على حين أن وحدة النسب بين العدنانيين - أبناء اسماعيل - وبين العبرانيين - أبناء أخيه إسحاق - لم تجعلهما أمة واحدة ، لاختلاف الفكر والثقافة واللغة والشمال . . . ففي الفكر الإسلامى العالمى ، المفتوح لاستيعاب الموروث القديم والإبداع الجديد ، تتمثل رحم جديدة ستظل دائمة الولادة لأفاق جديدة تتسع بها دائرة الأمة ويرحب بها مفهومها كلما امتدت بأهلها البصائر والأبصار إلى الجديد من الأفاق . . . يمضى الجاحظ ليتحدث عن هذه الحقائق في مفهوم الأمة ، فيقول : «إن العرب قد جعلت اسماعيل - وهو ابن أعجميين - (إبراهيم وهاجر) - عربياً ؛ لأن الله فتق لهاته^(٢٧) بالعربية المبينة . ثم فطره على الفصاحة ، وسلخ طباعه من طباع العجم وسواء تلك التسوية ، وصاغة تلك الصياغة ، ثم حباه من طبائعهم ومنحه من أخلاقهم وشمائلهم ، وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهمسهم على أكرمها فكان أحق بذلك النسب ، وأولى بشرف ذلك

(٢٦) (رسائل الجاحظ) ج ١ ص ٢٩ - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

(٢٧) للهاته : جزء من أقصى سقف الفهم ، مشرف على الخلق

الحسب . . . وإن العرب لما كانت واحدة، فاستووا في التربية، وفي اللغة، والشمال، والهمة، وفي الأنف والخصية، وفي الأخلاق والسجية، فلبسوا سبكاً واحداً، وكان القلب واحداً، تشابهت الأجزاء وتناست الأخلاق. وحين صار ذلك أشد تشابهاً في باب الأعم الأخص . وفي باب الوفاق والمباينة من بعض ذوي الأرحام ، جرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب ، وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى ، حتى تناكحوا عليها وتظاهروا من أجلها ، واستتعت عدنان قاضية من تناكحة بنى إسحاق ، وهو أخو إسماعيل ، وحادوا بذلك ، في جميع الدهر ، لبني قحطان . . . إن هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة . . . ! (٢٨)

هكذا رحب مفهوم الأمة واتسع أفق معيارها ، وانفتح باب استيعابها للتقديم والجديد ، فانداحت دائرتها في « الدين » وفي « الدولة » ، مؤكدة - دائماً وأبداً - أهليتها لتكون « الأمة الأمية » التي تستوعب الموارث الحضارية القديمة ، بالإحياء والتجديد والتمثل ، لتهيمن عليها بتحويلها إلى غذاء ومصدر قوة لهويتها المتميزة ، ولتحتضن الجماعات التي تدخل إلى دائرة الإسلام - الدين أو الحضارة - فتندمج بهذا الاحتضان دائرة الأمة ومفهومها كلما تيسر هذا الاحتضان والاستيعاب . .



(٢٨) (مسائل الجاهظ) ج ١ ص ٢٩ - ٣١ ، ١١ - ١٤ .

مفهوم الأمة في حضارة الإسلام

بعد نحو قرنين من الزمان الذي أعقب ظهور الإسلام ، تبلورت على أرض دولته وأمنته : معالم هذا الطور العربي الإسلامي من أطوار الحضارة العريقة الممتدة لشعوب هذه الأمة ، والحضارية جذورها في أعماق التاريخ القديم . . .

فالتدين الجذيد قد أعلن أن الإيمان به إنما هو : تصديق بالقلب يصل إلى درجة اليقين . . . ومن ثم فإن تحصيله وامتلاكه لا يمكن أن يتأتى بالقهر أو الإكراه : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . . . وعن العلاقة بينه وبين أهم الرسالات السماوية السابقة ، أعلن الإيمان « بالنعادية » في إطار « الوحدة » . . . فدين الله واحد ، أزلاً وأبداً . . . ومحمد ﴿ رسول من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة : ١٢٩] من عقائد الدين ومقاصده . . . والقرآن ﴿ كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة : ٢٩] . . . والله - سبحانه - في العقائد ، قد ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى : ١٣] . . . ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴿البقرة: ١٣٠﴾ .
ولقد عدَّ هذا الإعلان عن «وحدة الدين» خيوط وأسباب «التعددية» ، التي تنحو نحو استيعاب ما يمكن استيعابه من الممارث الدينية لأهم الرسل السابقين . . . وزاد من متانة هذه الخيوط والأسباب ما أعلنه الإسلام من «تعدد الشرائع الدينية» أولاً وأبداً . . . فإرادة الله هي في تعددية الشرائع والمناهج والسبل في إطار «وحدة الدين» ، الأمر الذي ميز الإسلام فجعله يتقبل التعاضد مع أهل الشرائع السماوية الأخرى - الكتابية ، كاليهود والنصارى - ومن لهم شبهة كتاب كالمجوس . . . ثم قيست عليهم ديانات وضعية كديانات الهند والشرق الأقصى ، تعبيراً عن المفهوم المرن والمفتوح للمجماعة والأمة المؤمنة - غير المشتركة والجاهدة - وتجسيدا لهذا المفهوم الذي أرساه الإسلام منذ ظهوره ، وظور الفقهاء تطبيقاته وفق ظروف الزمان والمكان . . .

لقد كانت المرة الأولى التي يأتي فيها دين يعلن رسوله وكتابه «التعددية» في الشرائع : ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور بحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا... وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور... وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه...﴾ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴿المائدة: ٤٨-٤٩﴾ .

وعندما وقف مفسرو القرآن أمام هذه الحقيقة ، قالوا - معبرين عن هذا الباب من أبواب «التعددية» و «التنوع» في إطار «الوحدة» .. قالوا : «إن الشريعة والشريعة هي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة ... ومعنى الآية أن الله قد جعل التوراة لأهلها ، والإنجيل لأهله ، والقرآن لأهله ، وهذا في الشرائع والعبادات . والأصل : التوحيد ، لا اختلاف فيه » ولو شاء الله جعلكم أمة واحدة أي لجعل شريعتكم واحدة ... » (٢٩) . فكانت المرة الأولى التي تأتي فيها شريعة سماوية لا تحتكر لأهلها طرق النجاة ؛ وإنما تقرر بتعدد السبل والمناهج والطرق - «الشرائع» - في إطار وحدة الدين ، فتقيم بهذه «التعددية» أسباب الغنى والثراء في ميدان الحضارة والثقافة ، موسعة بذلك مفهوم الأمة الحضارية ونطاقها .. بل لقد وجدنا أئمة تفسير القرآن الكريم يرون في هذه التعددية : «الحكمة» الإلهية «والمشيئة» الربانية من وراء خلقه للناس .. ففي تفسير قوله الله سبحانه : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (٢٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴿ (هود : ١١٨ ، ١١٩) .. يقول سعيد بن جبير (٤٥ - ٩٥ هـ ٦٦٥ - ٧١٤ م) : إن المراد بالأمة الواحدة «ملة الإسلام وحدها» ، أي شريعة الإسلام وحدها .. أما مجاهد بن جبر المكي (٢١ - ١٠٤ هـ ٦٤٢ - ٧٢٢ م) وقتادة بن دعامة السدوسي (٦١ - ١١٨ هـ ٦٨٠ - ٧٣٦ م) فإنهما يفسران «ولا يزالون مختلفين»

(٢٩) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ٦ ص ٢٩١ . طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

باحتامية بقاء الناس «على أديان - أي شرائع - شتى» . . أما الحسن البصري (٢١ - ١١٠ هـ - ٦٤٢ - ٧٢٨ م) ومقاتل بن سليمان (١٥٠ هـ - ٧٦١ م) وعطاء بن دينار (١٢٦ هـ - ٧٤٤ م) فإنهم يفسرون قوله سبحانه : «ولذلك خلقهم» بأن «الإشارة للاختلاف ، أي للاختلاف خلقهم» (٣٠) . .

فإذا ما جاء علماء الأصول ، وجدناهم يتحدثون عن شرائع الأمم السابقة بلسان السرخى (٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م) في كتابه (أصول الفقه) فيقول : «وأصح الأقاويل عندنا أن شريعة من قبلنا هي شريعة نبينا عليه السلام ، ما لم يظهر ناسخه . .» (٣١)

ولقد كان لهذا النهج الذي نهجه الإسلام في الاعتراف بالتعددية في الشرائع ، والتعايش معها ، واعتماد ما لم يتسخ منها ، ليستوعبه ويتمثله في نسيجه الحضارى ، موسعاً بذلك مفهوم الحضارة العربية الإسلامية ونطاقها . . كانت لهذا النهج آثاره العظيمة في دفع غير المسلمين إلى الإسهام في البناء الحضارى تحت رايات العروبة ودولتها والإسلام وحضارته . . فكما أحيا الإسلام الموارث الحضارية لشعوب البلاد التي دخلت عالم الإسلام بعد مواتها ، كذلك وجدناه قد استنقر أبناء الشرائع غير الإسلامية للإبداع في بناء الحضارة العربية الإسلامية ، بعد أن كانت كنائسهم وأحبارهم قد فرضوا عليهم ما فرضوه على موارثهم الحضارية من موات ! . . فالدين الذى قرر لهم التعددية

(٣٠) المصدر السابق . ج ٩ ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣١) ج ٣ ص ١٠١ ، ١٠٢ . انظر : . : رضوان السيد (الأمة والجماعة والسلطة) طبعه بيروت سنة ١٩٨٤ م .

فى الشرائع ، هو الذى قررت دولته أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما
 عليهم ، فنهضوا - مدعويين من الدين والدولة - للإبداع ، مع
 العلماء المسلمين ، فى بناء هذا الطور العربى الإسلامى الحضارة
 الأمة التى كانت آنما قبل دخول شعوبها فى عالم الإسلام
 وإذا كان العلماء المسلمون قد نهضوا بالعبء الأكبر فى هذا البناء ،
 فإن نظرة على بعض أسماء أعلام هذا البناء الحضارى ، من غير
 المسلمين ، كافية للدلالة على أثرهم البين ومكانهم الملحوظ فى
 هذا البناء . . فعلى امتداد تاريخنا الحضارى نستطيع أن نتابع آثار
 أعلام من مثل : الفيلسوف السريانى أثنا سيوس البلىدى (٦٦هـ -
 ٦٨٦م) ، والشاعر النصرانى الأخطل (١٩ - ٩٠هـ - ٦٤٠ -
 ٧٠٨م) ، والشاعر الموسيقى حنين بن بلوع (نحو ١١٠هـ - ٧٢٨م) ،
 والطبيب المترجم جورجس بن جبرئيل (بعد ١٥٢هـ - ٧٦٩م) ،
 والمنجم النصرانى ثيوفيل بن توما الرهاوى (١٧٤هـ - ٧٨٥م) ،
 والطبيب بختيشوع الكبير بن جورجس بن جبرئيل (نحو ١٨٤هـ -
 ٨٠٠م) ، وعالم الفلك والنجوم أبو سهل الفضل بن توبخت (كان
 حياً قبل ١٩٣هـ - ٨٠٩م) ، وعالم الطب والمنطق جبريل بن بختيشوع
 بن جورجس (٢١٣هـ - ٨٢٨م) ، والطبيب المؤلف سهل بن سابور
 (٢١٨هـ - ٨٣٣م) ، والعالم الطبيب أبو زكريا يوحنا بن ماسويه
 (٢٤٣هـ - ٨٥٧م) ، والطبيب المؤلف سابور بن سهل (٢٥٥هـ -
 ٨٦٩م) ، والطبيب والمترجم والشاعر والمؤرخ أبو زيد حنين بن
 إسحاق العبادى (١٩٤ - ٢٦٠هـ - ٨١٠ - ٨٣٣م) ، والوزير صاعد
 ابن مخلد (٢٧٦هـ - ٨٨٠م) ، والطبيب الحاسب الفيلسوف أبو الحسن
 ثابت بن قرة بن زهرون (٢٢١ - ٢٨٨هـ - ٨٣٦ - ٩٠١م) :

والطبيب المترجم يوحنا - يحيى - بن بختيشوع (نحو ٢٩٠ هـ ٩٣٠ م)، والفيلسوف المؤلف والمترجم والرياضي قسطا بن نوقا البعلبكي (نحو ٣٠٠ هـ ٩١٢ م)، والطبيب المؤرخ سعيد بن البطريق (٢٦٣ - ٣٢٨ هـ ٨٧٧ - ٩٤٠ م)، والطبيب بختيشوع بن يوحنا بختيشوع (٣٢٩ هـ ٩٤١ م)، والمترجم الرياضي يوحنا بن يوسف بن الحارث بن البطريق (القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي)، وعالم المنطق والمترجم متى بن يونس (٣٢٨ هـ ٩٤٠ م)، والطبيب العالم أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الخراسي (٣٣١ هـ ٩٤٣ م) والطبيب المؤرخ أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الخراسي (٣٦٥ هـ ٩٧٦ م)، والطبيب العالم جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع (٣١١ - ٣٩٦ هـ ٩٢٣ - ١٠٠٦ م)، والطبيب جورجس ابن يوحنا بن سهل بن إبراهيم البيروودي (٤٢٧ هـ ١٠٣٥ م)، والطبيب الفيلسوف العالم أبو الفرج عبد الله بن الطيب (٤٣٤ هـ ١٠٤٣ م)، والعالم والفيلسوف والمترجم ابن زرعة، عيسى بن إسحاق بن زرعة بن مرقس (٣٧١ - ٤٤٨ هـ ٩٨٢ - ١٠٥٦ م)، والفيلسوف أبو عمران موسى بن ميمون (٥٢٩ - ٦٠١ هـ ١١٣٥ - ١٢٠٤ م)، والطبيب أبو الفرج صاعد بن يحيى بن هبة الله بن توما (٦٢٠ هـ ١٢٢٣ م)، والكاتب الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الأشبيلي (٦٠٥ - ٦٤٩ هـ ١٢٠٨ - ١٢٥١ م)، والأديب والفنان والسياسي يعقوب بن رقائق صنوع (١٢٥٥ - ١٣٣٠ هـ ١٨٣٩ - ١٩١٢ م)، والموسيقي داود حسني (١٢٨٧ - ١٣٥٦ هـ ١٨٧١ - ١٩٣٧ م) والسياسي الوطني ونعيم مكرم عبيد (١٣٠٧ - ١٣٨٠ هـ

١٨٨٩ - ١٩٦١ م) (٣٢) فبهؤلاء الأعلام - وأمثالهم كثيرون - قام البرهان على أنفتاح حضارتنا العربية الإسلامية على مختلف الموارث الفكرية ، واستيعابها وعثلها ، ثم تجاوزها كل هذه الموارث . . فكما أخذت - منذ عصر الراشد الثاني عمر بن الخطاب (٤٠ ق . هـ - ٢٣ هـ ٥٨٤ - ٦٤٤ م) - تدوين الدواوين عن الروم . . (٣٣) وضريبة الأرض - وفق المساحة - التي عرفت «بوضائع كسرى» - عن الفرس (٣٤) . . رأيناها قد تجاوزت ، فيما أبدعت في الفكر السياسي - حول الإمامة والخلافة والأحكام السلطانية - حدود الاقتباس إلى نطاق الخلق المتميز والجديد ، فكان نظام «الخلافة» عربياً إسلامياً غير مسبوق . .

وإذا كانت ترجماتها قد بدأت بعلوم الصنعة ، على يد خالد بن يزيد (٩٠ هـ ٧٠٨ م) الذي مثل الأثر العربي الإسلامي لمدرسة الإسكندرية القديمة ، فإن إبداع هذه الحضارة في العلوم الطبيعية وتطبيقاتها قد كان منارة العالم في هذا الميدان ، أضافت إليه تجاوزها القياس الأرسطي إلى المنهج التجريبي الذي كان لها إبداعاً خالصاً ، نقلت به العلم إلى طور جديد ، كما وكيفاً . .

(٣٢) (أركلى (الأعلام) طعة بيروت سنة ١٩٦٩ م . و (تراث العرب العظمى في الرياضات والفنك) لقدري حافظ طوقان . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ م . و (الدعوة إلى الإسلام) لأرنولد ، ترجمة : د . حسن إبراهيم حسن ، د . عبد المجيد عابدين . إسكندرية النجراوى . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م . و (الأقباط في السياسة المصرية - مكرم عبده ودوره في الحركة الوطنية) نذكتور مصطفى الفقى . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥ م .

(٣٣) اس سعد (التطبيقات الكبرى) ج ٣ ق ١ ص ٢٠٢ طبعة دار التحرير القاهرة . و (كتاب الخراج) لأبى يوسف . تحقيق : د . إحسان عباس . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥ م .

(٣٤) (الأحكام السلطانية) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

وإذا كانت قد ترجمت الفلسفة اليونانية ، فإنها قد قرأتها بعيون إسلامية ، ووعتها بعقول صاغها التوحيد ، فكان إبداعها الفلسفي هو علم الكلام الإسلامي ، الذي تأسست عقلانيته على الرُوحى . فتأخّدت فيه الحكمة والشريعة على نحو فريد . . .

وكذلك صنعت هذه الأمة وحضارتها مع تراث الفرس والهنود . . . أحييت الموات . . . وجددت البالي ، واستوعبت الحى فتمثلته . ثم تجاوزته . . . بمنطق الأمة النوارثة ، والجماعة العالمية . أمة وجماعة الرسالة الخاتمة والخالدة ، والتي لا بد - لذلك - من أن يكون القانون الحاكم لمسيرتها والضامن لها أداء رسالتها هو التفتح - من موقع الراشد المتسمّر - على الآخرين . . .

* * *

وبعد :

فهل كانت هناك حكمة - ذات دلالة - وراء مجيء مصطلح «الأمة» القرآنى بمعنى «الجماعة» . دون تحديد صارم لسمات الجماعة ؟ . . . وذلك لتتدرج وتتسع دوائرها فى مختلف الميادين والمجالات ، ولتتوالى أفاقها دائماً وأبداً . . . فتضم «القبائل» - كلبشات - فلا تتجاهل تمايزها ، وفى ذات الوقت لا تقف عند حدود هذا التمايز . . . ثم تضم «الشعوب» مع «القبائل» ، جماعة «التعارف» هو رباط الجماعة . لا القالب الواحد الحاكم ذا الشروط الصارمة الجامعة المانعة . . . ثم تضى فيحتضن محيطها الإسلامى الحضارى الجزر القومية ، دون أن تنفر الأمة الإسلامية من تمايز الأمم القومية فى أحضان المحيط الإسلامى الكبير . . . فتصبح

القومية دائرة انتماء ، لا فكرية تناقض الإسلام ، ولا عصبية تتجاهل أو تعادي جامعته الأشمل تم تذهب هذه الجماعة قُدمًا لتمد مع الدائرة الإنسانية الخيوط والعلائق والأسباب ٢٢ . .

هل كانت هناك حكمة - ذات دلالة - من وراء ذلك ؟؟ . .

وهل كانت لهذه المرونة في مضمون هذا المصطلح صلة بتوقف النهج العربي الإسلامي ومسيرته في بلورة حضارة الأمة ، بدءاً من :

● نواة الدين . . . وأمة الدين . .

● فالقومية . . والأمة القومية - بالمعنى الحضارى ، لا العرقى

● فالحضارة . . وأمة الحضارة - التى تحتص القوميات . .

والننى لم تقف بالسلمات الحضارية عند ما هو دينى . . كما أنها لم تتجاوزه . . وإنما جعلت منه النواة التى انداحت من حولها الدائرة القومية والحضارية . . واتخذت منه الأداة التى بعثت وأحييت وجنددت الموارث الفكرية والحضارية لشعوب البلاد التى دخلها الإسلام ، ودخلت فى عالم الإسلام . . كما أقامت منه المعيار الذى فوزت به ما هو مقبول . . أو فى حاجة إلى التعديل . . أو واجب الرفض من هذه الموارث .

● فلم تقف بالأمة عند أمة الدين . .

● ولم تقف بعنصر الأمة وجنسها عند العرب - بالمعنى العرقى - . .

● ولم تقف بفكرية الأمة وعلوم حضارتها عند علوم الوحي والشرعية ، وإنما تجاوزتها - وهى مصاحبة لها - إلى علوم

الحضارة وفنونها ، التي أبدعت فيها إبداعاً غنياً وعميقاً وراقياً ، مع غيـرها بإشاعة الروح الإيماني والمزاج العربي في مختلف وأدق أجزائها ..

لقد انطلقت الأمة - الجماعة - من «الدين» إلى «الحضارة» ، التي تبلورت وتمت حول هذا الدين .. وأقامت العلاقة العضوية والجدلية بين العروبة - الحضارية والثقافية - وبين الإسلام العالمي .. فجعلت «الفرد» .. «فالأُسرة» - أو «القبيلة» - .. «الشعب» .. «الأمة القومية» .. «الأمة الحضارية» .. دوائر ، تفتتح الصغرى منها على الكبرى التي تليها ، في علاقة جدلية وتضامنية لا تعرف التناقض ولا التضاد .. كما جعلت «الإقليم» .. «الوطن الأدنى» .. «الوطن القومي» .. «العالم الملة» والجماعة الإسلامية ، دوائر ، تبدأ من الأخص إلى الخاص إلى العام فالأعم .. ليتمضي كل ذلك إلى الدائرة الإنسانية .. شعوباً وحضارات ..

● إنها أمة الإسلام .. وإسلامها وثيق الصلة بالعروبة الحضارية والثقافية .. عقيدته عالية .. ومعجراته عربية ، وشريعته عربية ، ولن يفقهيهما وبلغ مرتبة الاجتهاد والتشريع فبهما إلا من بلغ في فقه العربية وعلومها مبلغ البلغاء وهي أمة العروبة الحضارية - لا العرقية - التي هي ثمرة من ثمار الإسلام ...

● وهي دائمة الحركة والنمو والتفتح - رأسياً وأفقياً - ومهما

تَحَقُّقُهَا - عمقًا واتساعًا - لا تعرف النهايات ولا الحدود ولا السدود ..

● والعلاقة بين هذه الأمة - بالمعنى الدينى وفى النطاق الدينى - كما كانت فى بداية طورها الإسلامى - وبين هذه الأمة عندما تحققت فى الواقع ، بالمعنى التاريخى والاجتماعى والقومى - بعد الهجرة - ليست علاقة انفصال ، بل ولا تتابع فى المراحل التى تتجاوز ثابيتها أولاها تجاوز المغايرة والاختلاف والانقطاع .. وإنما هى علاقة «الوحدة» التى لا تنكر «التمايز» ، فى الإطار الحضارى المرن الذى يسمح للتعددية بالتعايش والتفاعل داخل الإطار ..

ذلك هى تعريف الأمة فى حضارتنا العربية الإسلامية ، وهذا هو مفهومها ... وتلك هى دلالة المرونة التى تميز بها هذا المفهوم .. ومصادق هذه الحقيقة تلك المسيرة العملية التى سلكتها أمتنا وحضارتنا منذ أن بدأت طورها العربى الإسلامى بظهور الإسلام .. لقد استوعبت الموارث الحضارية التى سبقت الإسلام ، ثم أحبتها وجددتها وفق معايير التوحيد الإسلامى .. وصنعت من التعددية كُلاً حضارياً جديداً ... وهى فى كل ذلك قد انطلقت من «العقيدة» - عقيدة الدين - إلى «الفكر» - فكر الحضارة - إلى «السلوك» ، الذى حوّل «العقيدة» و«الفكر» إلى حياة عاشتها وتعيشها هذه الأمة فى حقبة الازدهار ، وتجاهد كى تحييها كلما فرضت عليها التحديات قيود الضعف والتراجع والجمود ! .



صدر من سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

- ١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .
- ٢ - الغرب والإسلام .
- ٣ - أبو حيان التوحيدى .
- ٤ - دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى .
- ٥ - ابن رشد بين الغرب والإسلام .
- ٦ - الانتماء الثقافى
- ٧ - تنصير العالم .
- ٨ - التعددية الرؤىة الإسلامية والتحديات .
- ٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام .
- ١٠ - د . يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية . والمشروع الفكرى
- ١١ - تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .
- ١٢ - عندما دخلت مصر فى دين الله .
- ١٣ - الحركات الإسلامية رؤىة نقدية .
- ١٤ - المنهاج العقلى .
- ١٥ - النموذج الثقافى .
- ١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .
- ١٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين
- ١٨ - الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة .
- ١٩ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
- ٢٠ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى
- ٢١ - فكر حركة الاستنارة . . وتناقضاته .
- ٢٢ - حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجية جارودى .
- ٢٣ - أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .
- ٢٤ - الحضارات العالمية تدافع؟ أم صراع .
- ٢٥ - التنمية الاجتماعية بالغرب ؟ أم بالإسلام؟؟
- ٢٦ - الحملة الفرنسية فى الميزان .
- ٢٧ - الإسلام فى عيون غربية . . دراسات سويسرية
- ٢٨ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة . . أم تفتيت وأختراق .
- ٢٩ - ميراث المرأة وقضية المساواة .
- ٣٠ - نفقة المرأة وقضية المساواة .
- ٣١ - للدين والترات والحداثة والتنمية والحرية
- ٣٢ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية
- ٣٣ - الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟؟
- ٣٤ - صورة العرب فى أمريكا .
- ٣٥ - هل المسلمون أمه واحد؟؟
- ٣٦ - السنة والبدعة .
- ٣٧ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .
- ٣٨ - قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى .

الفهرس

٣ مفهوم الأمة فى لغتنا القومية
٧ مفهوم الأمة فى أصول العربية
١٢ مفهوم الأمة فى دولة الإسلام
٢٨ مفهوم الأمة فى حضارة الإسلام



إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..
فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي ● د . محمد سليم العوا
- ا . فهمي هويدي ● د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقي ● د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيري ● د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين ● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإتارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر